الأستاذ محمود محمد طه في الذكرى الحادية والعشرين
محاولة للتعريف بأساسيات دعوته
(2) الإنسان

خالد الحاج عبد المحمود

تحدثنا، في الحلقة الأولى عن أهمية الاطار المرجعي لأي فكر. وعن مفهوم "التوحيد"، كاطار مرجعي للإسلام، كما يقدمه الأستاذ محمود.. ويمكن تلخيص قضية التوحيد كاطار مرجعي، في النقاط التالية:

1/ الاصل في الوجود هو الذات الالهية المطلقة، وما الوجود الحادث الا مظهراً، وتجسيداً لارادة الذات.. وعلى ذلك، كل شيء في الوجود الحادث، قيوميته، ليست بذاته، وإنما قيوميته بالله.

2/ الوجود الحادث– الأكوان– في جميع صوره هو تعبير عن تنزلات الله، من صرافة الذات، الى مرتبة الاسم، ثم الى مرتبة الصفة، ثم مرتبة الفعل.. فالله تعالى أوجد الوجود بثالوث: العلم، والإرادة، والقدرة.. ومرحلة العلم والإرادة، مرحلة ملكوت.. ومرحلة القدرة، مرحلة ملك.

3/ لما كان الوجود الحادث كله من الله صدر، واليه يعود، أصبح ليس للوجود بداية، كما أنه ليس له نهاية.. فكل الذي بدأ، وكل الذي ينتهي هو الصور الغليظة للأشياء.

4/ في الصدور، خرجت الكثائف من اللطائف، وفي الورود، تخرج اللطائف من الكثائف.

5/ ليس في الوجود كائن، سوى الذات الإلهية، وكل من عداها، وما عداها، هو مستمر التكوين.. ولذلك تعتبر الحركة بعدا أساسيا، بالنسبة للوجود الحادث.

6/ ليس في الوجود اختلاف نوع، وإنما كل اختلاف فيه هو اختلاف في الدرجة فقط.

Société Soudanaise des Etudes et Recherches en Arts, Lettres et Sciences Humaines
Sudanese Society for Research in Arts and Humanities
الجمعية السودانية للدراسات والبحوث في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية
www.sudan-forall.org

7/ في حين أن الوجود، في حقيقته، واحد، لأنه مظهر لخالقه الواحد، لكن الوجود في مظهره، متعدد.. فالله تعالى لا يتجلى لذرتين في الوجود، تجل واحد.. فالتكرار في حقه تعالى، عجز، يتعالى عنه علواً كبيراً.. فالألوهية – وهي تنزل الله لمرتبة الفعل– لا تقف، ولا ترجع، ولا تكرر نفسها.. ومن هنا يأتي التعدد في إطار الوحدة.. فلا شي في الكون الحادث، يطابق غيره، ثم الكون كله موجود في في كل جزء منه.

8/ الله تعالى هو مركز الوجود، والأصل فيه، وكل شئ في الوجود، في حركته سائر إليه، ولذلك الأصل في الوجود "اللطيف"، وما الكثيف الا مظهر.. وكل لطيف يهيمن على كل كثيف يقابله.. فعلى ذلك، الوجود، وجود روحي، ذو مظهر مادي.. والروح هي الأصل، والمادة مظهر للروح.. والاختلاف بين المادة والروح، هو اختلاف في الدرجة فقط.

9/ الحركة في الوجود ، حركة من الكثيف الى اللطيف.. ومن التعدد الى الوحدة.. ومن البعد الى القرب.. وهي حركة تقوم على الفناء، والبقاء.. وعلى الموت والحياة، بالنسبة للأحياء..وعلى الحق والباطل، بالنسبه للمعاني..والفناء، فى أى صورة من صوره، لا يعني التحول الى العدم، وإنما هو حركة من النقص إلى الكمال، ومن البعد إلى القرب، ومن الكثافة إلى اللطافة كما ذكرنا.. فما يفنى هو الصور، أما الجوهر فلا يفنى.. وفناء الصور يعني تطورها في سيرها إلى الله.

10/ الوجود كله، مصدره واحد، وطبيعته واحدة، ومصيره واحد، والقانون الذي يحكمه واحد.. وجميعه مسلم لله، حسب الأمر التكويني– وهذا هو الإسلام العام، الذي لا يخرج عنه خارج ولا يشذ عنه شاذ.. هذا هو اسلام القهر الإرادي (الكره) .. ولكن الله تعالى، بمحض فضله، أراد لطليعة الوجود الحادث – الإنسان– أن يسلم إسلام "الطوع"، إسلام الرضا والقناعة، ومن هاهنا جاء الإسلام الخاص– إسلام العقول.. وفي إطار هذا الإسلام، "التوحيد" صفة الموحِد (بكسر الحاء)، صفة الإنسان.. والإسلام هنا يعني إسلام الإرادة الحادثة للإرادة القديمة.. ومن هنا يكون مدخلنا للحديث عن الإنسان

بالإنسان بدأ الخلق:

على خلاف ما يرى كثير من الناس، الخلق بدأ بالإنسان، وليس بالأكوان.. فلقد كانت أول حركة في الخلق تنزل الذات من الصرافة – من الإطلاق – إلى القيد – إلى مرتبة الاسم "الله"، وهذه مرتبة الإنسان.. وهي مرتبة "أحسن تقويم"، التي جاءت الإشارة إليها في قوله، تبارك وتعالى: " ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" ولقد خلق الله بالإنسان الأكوان، فجاء الفتق: "ثم رددناه أسفل سافلين" ... مخطوطةالديباجة– فأسفل سافلين، أبسط صور الخلق، أبسط صور المادة.. وهذا تصور يختلف بصوره جذرية عن التصور العلماني.. وفي الإشارة إلى بداية الخلق، يجئ حديث المعصوم، في الرد على سؤال الصحابي، جابر بن عبدالله عن أول ما خلق الله، بقوله: "أول ما خلق الله، نور نبيك ياجابر.." وهذا ماصطلح على تسميته " بالحقيقة المحمدية".. فهي أول قابل لتجليات الذات الإلهية، وهي بين الذات الإلهية وبين جميع الخلق.. وفي حديث أخر يقول المعصوم: " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين".. وفي حديث آخر يقول: " أول ما خلق الله العقل، فقال له: أدبر فأدبر وقال له : أقبل فأقبل" .. وجميع هذه الأحاديث في معنى الآية: " ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.." فأحسن تقويم هي موطن الإنسان، الذي منه اغترب، واليه يعود " كما بدأنا أول خلق نعيده.."

فالأصل في الإنسان، الكمال.. فهو قد خلق كاملا، في الملكوت– عالم الأرواح– فأحسن تقويم، هو الخلق الكامل الحسن، فما فوقه حسن.. ثم رد الإنسان إلى أسفل سافلين، وانتدب ليستعيد مقامه، بعد التجربة، وهو لا بد مستعيده، شاء أم أبى!! ولكن العودة تكون بالطوع!!

هذا الكمال، هو الأصل الذي فطر عليه الإنسان.. وهي فطرة ثابتة، لا تتغير، ولا تتبدل، مهما حجب عنها الإنسان وغطيت " فطرة الله، التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.." .. " لا تبديل لخلق الله.." هذا مايفيد أن أصل الفطرة ثابت لا يتبدل، لأنها قائمة على الأصل الذي لا يتبدل، وهو"الاسلام"،

فكل المخلوقات، مفطورة، في الحقيقة، على الاسلام.. كانت، ولا تزال، ولن تنفك..هذا أمر لا تغيير فيه من حيث الحقيقة.. وإنما التغيير في الشريعة فقط، في الظاهر، الذي يقوم على وهم العقول.. وهذه الفطرة بالنسبة للإنسان هي الحياة الكاملة، العارفة بالله، المطيعة له، عن طوع، وعلم وقناعة.. وهذا هوالاختلاف بين اسلام العناصر، واسلام الإنسان– الاختلاف في الطوع وفي الكره.. والاسلام كرها، هو الاسلام العام، الذي لا يخرج عنه خارج، ولا يشذ عنه شاذ، أما الاسلام الطوع، فهو اسلام العقول، الاسلام الخاص، اسلام الإنسان الذي به يحقق كماله، وليس لكماله نهاية، فينتهي إليها، وإنما السير في الكمال سير سرمدي.

من الإنسان ــ في أحسن تقويم ــ فتقت الأكوان.. فالأكوان من الإنسان " في الحقيقة ليس في الوجود الحادث غيرالإنسان.. وجود الإنسان، وجود ازلي، أبدي– سرمدي– فهو ينزل المنازل في البعد من الله، وفي القرب.. هو مغترب، وراجع من الاغتراب، الى وطنه الاصلي، الى الله في اطلاقه.. وليس لهذا السير نهاية، وانما هو سير في السرمد، لأنه سير الى المطلق" – ديباجة– وعن اصل العلاقة بين الإنسان والكون يقول الأستاذ محمود: " الإنسان من حيث الحجم، لا يذكر، اذا ذكرت الأكوان، ولكنه من حيث القيمة لا يذكر معه شئ، لأنه هو سيد الأكوان.. خلق الله الإنسان بذاته من ذاته، وخلق بالإنسان الأكوان.. نفخ الله روحه في الإنسان، ونفخ روح الإنسان في الأكوان.. " ــ ديباجة.. ويقول: " إن الكون هو الإنسان، ولكن الإنسان ليس الكون، لأن الإنسان أهم من الكون.." .. ويقول البيئة بيئتان: بيئة طبيعية، من العناصر الصماء في الارض، وفي السموات، وبيئة اجتماعية، من جميع الاحياء، من لدن حيوان الخلية الواحدة ــ سواء أكانت خلية حيوان، أوخلية نبات.. والبيئة مع ذلك، وحدة متحدة، الاختلاف بين أعلاها، وهو الإنسان، وأسفلها، وهو ذرة بخار الماء، انما هو اختلاف مقدار.. هذا يعني أن اصغر جزيئيات المادة، انما هي على صورة الإنسان، وهي الإنسان، في طور من اطوار نموه نحن لا نعرفه، كما أنا لا نعرف الإنسان، وهو في طور الحيوان المنوي.. نحن لا نعرفه الا بعد ان يولد بشرا، بعد أن مكث تسعة

اشهر، وبضعة ايام، في الرحم.. ان البيئة– سواء كانت طبيعية، او اجتماعية– انما هي مظهر الله العلي.." –ديباجة–فالاختلاف بين الإنسان، وبين الاكوان هو اختلاف في الدرجة فقط، وليس في النوع!!

فالإنسان هو اصل الوجود الحادث، وغايته، وما من شئ، في الوجود الحادث الا ومسخر للانسان– مسخر لانجابه، وتحقيقه– يقول تعالى: " وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه".. " هو خليفة الله على الوجود العلوي والسفلي.. المنظور منه، وغير المنظور.. وهو بين الله، في اطلاقه، وبين جميع خلقه– " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة" ثم خاق آدم على صورته، ليقوم بتدبير مملكته وفق مرضاته" .. " وهذه الخلافة هي تكليف الإنسان الاساسي وقدره المقدور، في حينه .. فالإنسان مفضل على جميع الاكوان.. وهو مشروع، بدأت المسيرة في تحقيقه، من اسفل سافلين، وهي مسيرة طويلة، وشاقة ولكنها، بفضل الله، تلطف كل حين، وتتسارع حركتها كل حين.. يقول الأستاذ محمود عن الإنسان من كتابه(تطوير شريعة الاحوال الشخصية): " هذا بحث في آصل اصول الدين، بحث في كرامة الإنسان.. والإنسان هو قمة المملكة..فإن المملكة هكذا: في القاعدة الغازات، ثم السوائل والجمادات((بما فيها وفي قمتها الماء والطين))، ثم النباتات ، ثم الحيوانات، ثم البشر((بنو آدم)) ، ثم الإنسان.. قال تعالى في كرامة الإنسان(ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر، والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا).. وبنو آدم ليسوا قمة الخليقة، وانما هم مرحلة من مراحل تطور الخليقة في المملكة نحو مرتبة الإنسان.. بنو آدم بالنسبة للانسان كالحيوان بالنسبة لبني آدم.. وفي حين أن بني آدم مفضلون على كثير من المخلوقات (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .. فإن الإنسان مفضل على سائر المخلوقات.. وانما من اجل الإنسان خلقت الاكوان، وما خلق الإنسان الا من اجل الله.. قال تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك

لآية لقوم يتفكرون*وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمرهِ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرونَ*وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون *وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون*وعلامات وبالنجم هم يهتدون)

وفي معنى خلق الإنسان من أجله قال تعالى (وذكر!! فإن الذكرى تنفع المؤمنين*وما خلقت الجن، والإنس، إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق، وما أريد أن يطعموني * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى في حق موسى (واصطنعتك لنفسي) ..وإنما من هذه الآيات ومن تلك، قال العارفون عن لسان الحق(:جعلت الأكوان مطية للإنسان، وجعلت الإنسان مطية لي) وهو قول يفرع أيضا على الحديث القدسي(ما وسعني أرضي، ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)وعلى الآية الكريمة.: (سنريهم آياتنا، في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق.. أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد؟؟) ...ولم يكن الإنسان غائبا عن الأكوان، وإنما كان دائما طليعتها، ورأس سهم تقدمها، من لدن الغازات.. ولا يزال التقدم يطرد به، ولما يبرز لمقام عزه بعد.. قال تعالى عن تقلب الإنسان في الصـــور البدائية، في الآماد السحيقة: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟؟ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج، نبتليه، فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل: إما شاكراً، وإما كفوراً). وقوله "هـــل" هنا تعني"قد" .. قد أتى على الإنسان دهر دهير لم يكن فيه مذكوراً في ملكوت الله، لأنه لم يكن، خلال هذا الدهر الدهير، يتمتع بعقل التكليف.. وإنما من ههنا سقط ذكره ــ (لم يكن شيئا مذكورا)...وهذا الدهر الدهير يوقت تقلبه في الصور الدنيا، من أسفل سافلين حيث رد، صاعداً إلى أحسن تقويم حيث خلق.. قال تعال (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم* ثم رددناه أسفل سافلين.) و"أسفل سافلين" هذه هي نقطة أدنى صور تجسيد المادة.. وتسخير الأكوان له إنما معناه إعانته في سيره هذا الطويل من منفاه في البعد إلى مقامه في القرب عند الله.. كل شئ سخر لهذه

الغاية.. إبليس، وذريته، والملائكة الأطهار، والرسل، والكتب، والشرائع، والقرآن بصورة خاصة.. ذلك بأن طريق الرجعى به قد بين أحسن تبيين.. وهو بصورته التي بين دفتي المصحف قد نزل مؤخرا على خاتم النبيين، ولكنه، في حقيقته، ما بدأ نزوله، ولا انقطع نزوله، وإنما هو مستمر النزول، ولن ينفك.. هو في صورته التي بين دفتي المصحف قد نزل ليوجه تطور البشرية نحو الإنسانية – ليستخلص الإنسان من البشر.. وليرسم طريق رجعته إلى وطنه الذي قد طال اغترابه عنه.. انظر كيف تحكي هذه الآيات الكريمات بداية هذا الطريق، ونهايته :" حم* والكتاب المبين* إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون* وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم* عبارة "لدينا" تعني عند الذات، حيث لا عند.. وهذه تمثل خط السير في المطلق .. والآية (إنا جعلناه قرآناً عربياً، لعلكم تعقلون)، تحكي طرف هذا الطريق الذي لامس أرض الناس، حيث قامت الشريعة لتنظيم حياة الأفراد، من رجـــال، ونســـاء، تنظيماً يوفق توفيقاً دقيقا، ومتساوقا بين حاجة الفرد من رجل، وامرأة، إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة"

الإنسان وهو في طريق رجعاه الى موطنه الذي اغترب منه، يمر بمراحل أساسية.. وقد جاء عن هذه المراحل من كتاب رسالة الصلاة: "وللإنسان في هذه النشأة الطويلة أربع مراحل متصلة الحلقات، ولا يفصل بينها إلا حلقات من السلسلة، أكبر من سابقاتها، تمثل قفزة في سير التطور.. وتمثل هذه القفزة بدورها حصيلة الفضائل العضوية التي استجمعت من خلال المرحلة السابقة.. وهذا التقسيم إلى أربع مراحل إنما هو لتبسيط البحث فقط: وإلا فإن في داخل كل مرحلة، مراحل يخطئها العد".. وعن هذه المراحل جاء:" تحدثنا عن المرحلة الأولى، فقلنا: أن بدايتها في الأزل، حيث برز الإنسان في الجسد، في المادة غير العضوية – تلك التي نسميها، اصطلاحا، ميتة – ونهايتها عند دخول المادة العضوية في المسرح..

وتحدثنا عن المرحلة الثانية، وقلنا: أن بدايتها عند ظهور المادة العضوية – تلك التي نسميها، اصطلاحا، حية – ونهايتها عند ظهور العقل. ويتضح لنا، من هذا، أن الشبه كبير

بين المرحلتين: الأولى، والثانية، فهما معا مرحلة الجسد الصرف، على اختلاف مستوياته، من ذرة بخار الماء، وإلى أعلى الحيوانات الثديية، ما خلا الإنسان..

واما المرحلة الثالثة فهي تتميز عن المرحلة الثانية ببروز العقل من الجسد، وهو عنصر جديد وخطير . وأما المرحلة الرابعة فهي تتميز من المرحلة الثالثة بدخول الحاسة السادسة، والحاسة السابعة، في المسرح، وتلك درجة جديدة، من درجات الترقي، تصبح بها الحياة البشرية شيئا جديدا، مختلفا عما ألفنا من قبل.. ولذلك فإنا نستطيع أن نقول: أن لدينا ثلاث مراحل لنشأة الإنسان: مرحلة الجسد الصرف، ومرحلة الجسد والعقل المتنازعين، وأخيرا مرحلة الجسد والعقل المتسقين.. ولقد تطورت، إلى الآن، الحياة على هذا الكوكب في مضمار المرحلتين: الأولى والثانية: فهي قد كان تطورها الأول تطورا عضويا صرفا، ثم لما بدأ بروز العقل، بفضل الله، ثم بفضل التطور العضوي الصرف، أخذت في تطورها الثاني، وهو تطور عضوي – عقلي.. وهذا الطور هو الذي نعيشه نحن الآن، وإني لأرجو أن نكون إنما نعيش في أخريات أيامه.. وسيجيء يوم، قريبا، يصبح التطور فيه عقليا صرفاً، في مقابلة البداية بالتطور العضوي الصرف، ذلك الذي كانت به بداية الحياة.. وأصحابنا الصوفية يقولون: النهاية تشبه البداية، ولا تشبهها.. والمؤرخون يقولون: التاريخ يعيد نفسه، ولكنه لا يعيدها بنفس الصورة ..وأحكم القائلين يقول " كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا، إنا كنا فاعلين" وهو تبارك، وتعالى، لا يعيده بنفس الصورة لأنه من أسرار الألوهية، أنها لا تقف،ولا ترجع، ولا تكرر نفسها.. فلم يبق إلا ما قلنا.

وهذه المراحل الثلاث: مرحلة التطور العضوي الصرف، ومرحلة التطور العضوي - العقلي، ومرحلة التطور العقلي الصرف..يمكن التعبير عنه، بلغة الدين، بأنها تقابل العوالم الثلاثة: عالم الملك، وعالم البرزخ، وعالم الملكوت.. فأما عالم الملك فهو عالم الأجساد، وأما عالم الملكوت فهو عالم العقول، وأما عالم البرزخ فهو عالم المنزلة بين المنزلتين – عالم مرحلي– وهذا هو عالم الإنسان الحاضر، الذي نعيش نحن الآن في أخريات أطواره كما سلفت إلى ذلك الإشارة..

ولقد خلق الله كل شيء بالذات، ثم خلق بالواسطة، وهي الأسماء والصفات والأفعال.. وقد اقتضت حكمته أن يبرز خلقه إلى حيز الوجود بثلاث حركات: حركة العلم بالإحاطة، وحركة الإرادة بالتخصيص، وحركة القدرة بالإبراز إلى عالم المحسوس.. وهو في عالم البرزخ قد خلق بثلاثة أسماء (العالم المريد القادر) وهو، في عالم الملكوت، وهو يلي عالم البرزخ من أعلى، قد خلق بثلاثة أسماء (الله الرحمن الرحيم) وهو، في عالم الملك، وهو يلي عالم البرزخ من أسفل، قد خلق بثلاثة أسماء(الخالق البارئ المصور)– رسالة الصلاة– وقد هدى الله تعالى الحياة في جميع هذه العوالم، يقول تعالى: "أعطى كل شئ خلقه ثم هدى" يعني هدى الله التطور في مراقيه.. فأما التطور العضوي الصرف، فهداه بالدين العام، وأما التطور العضوي – العقلي، فهداه بالدين الخاص – ((مرحلة العقيدة.)) وأما التطور العقلي الصرف، فهداه بالدين الخاص-.((مرحلة العلم))".. وجاء دين الاسلام، في القرآن، وعلى يدي، نبينا محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم، مشتملا على مرحلة (العقيدة) ومرحلة (العلم).. مرحلة (الإيمان) ومرحلة(الاسلام).. وعلى مرحلة الإيمان من الاسلام، جاءت (امة المؤمنين)، والتي نعيش نحن اليوم، في اخرياتها.. وقمتها الاصحاب.. وعلى مرحلة (العلم) تجئ أمة (المسلمين)، وهي التي يتم الدخول فيها، بالبعث الاسلامي الجديد، الذي يبشر به الأستاذ محمود محمد طه... والدخول في مرحلة العلم ((مراحل الايقان))، لا يكون الا بعد الدخول عبر مراحل الإيمان– ونحن لنا الى ذلك عودة

والذي يعنينا بصورة خاصة، ونحن نتحدث عن عن الإنسان، المرحلة الثالثة من النشأة، والتي تميزت بدخول العقل، ومرحلة العقل المكلف بالذات.. وذلك للأهمية الكبيرة للعقل.. والعقل هو الروح الإلهي الذي نفخه الله في البنية البشرية، فأصبحت بفضله مشدودة إلى الله، بعد أن كانت قبلا، مشدودة الى الأرض بحكم الجبلة.. وعن نفخ الروح الإلهي في البشر قال تعالى: " وإذ قال ربك لملائكة إني خالق بشرا، من صلصال من حمأ مسنون* فإذا سويته ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين" .. عبارة (فإذا سويته) تشير الى استعداد المكان لنفخ الروح الإلهي فيه.. وهذا استغرق زمنا طويلا جدا، هو الزمن الذي

استغرقته حركة التطور، من أسفل سافلين، وحتى زمن بروز العقل..والنفخ لم ينته، وهو لن ينتهي، فهو سرمدي.

والنفخ، في القلب.. والقلب هو ذات الحي.. وهو الحي الذي أعطى الجسد والدماغ الحياة، ولذلك التركيز في القرآن كله على القلب، ولا يجئ ذكر العقل– الدماغ والجسد– إلا في المكان الثاني. ولقد كان النفخ بوسيلة (الخوف).. فبسبب الخوف برزت الحياة، وتطورت في المراقي الى يومنا هذا، ولكن الحياة لن تكمل إلا إذا تخلصت من الخوف البدائي العنصري.. فبعد أن كان الخوف السبب الأساسي، في تطور الحياة، أصبح الآن العقبة الأساسية أمام كمالها!! وبذلك أصبح العدو الأول للحياة!! ولاسبيل الى التخلص من الخوف، بما يعين على دخول المرحلة الرابعة من مراحل نشأة الإنسان، إلا بالاسلام، في مستواه العلمي

لقد تحدثنا عن الحاسة السادسة، والحاسة السابعة.. أما الحاسة السادسة فهي الدماغ.. ووظيفتها الادراك المحيط، والموحد (بكسر الحاء) لمعطيات الحواس الأخرى– اليد، والأذن، والعين، واللسان، والأنف– في اللمس، والسمع، والبصر، والذوق، والشم.. لفإذا قويت يكون ادراكها كل شئ عظيم الشمول، فلكأنها، تمسه، وتسمعه، وتراه، وتذوقه، وتشمه، في آن واحد..

أما الحاسة السابعة فهي القلب.. ووظيفتها الحياة.. وهذه الحاسةهي الأصل، وجميع الحواس رسلها، وطلائعها، الى منهل الحياة الكاملة.. وعن طريق تجويد العمل، في منهاج السنة، يتم تحقيق هاتين الحاستين، بالرجوع الى سلامة الفطرة، وهي العقل الصافي، والقلب السليم.. وهذا هو الاسلام في مرحلته العلمية.. ولهذا الاسلام بداية، ولكن ليست له نهاية، فالتطور في مجاله سرمدي

الإنسان مشروع، له بداية وليست له نهاية، فالسير في مجاله سير سرمدي.. وكذلك الاسلام، هو مشروع، له بداية وليست له نهاية، والسير في مجاله سير سرمدي.. والاسلام والإنسان، مرتبطان، بصورة دائمة، تجعل من المستحيل الفصل بينهما.. هذا، منذ الأزل،

والى السرمد.. وفي هذا الارتباط الإنسان هو الغاية، والاسلام وسيلته.. وكل الذي تغير، وكل الذي يتغير، هو تدرج التحقيق بالنسبة لانسانية الإنسان، وبالنسبة لدرجات الاسلام.. ولذلك فإن حديثنا كله سيكون منصبا على الإنسان وعلى الاسلام.

خالد الحاج عبد المحمود ــ رفاعة